

رؤية نقدية لمنطلقات التفكير في الأدب الشعبي

ألتلي بن الشيخ : الشعر - القصة - المثل .

أ. سعيدة حمزاوي

جامعة قاصدي مرياح - ورقلة

التلي بن الشيخ " علم من أعلام الأدب الشعبي الجزائري ، كرس حياته لدراسة هذا العلم على أسس علمية ، وقد استحوذ الشعر الشعبي على أكبر قدر من جهوده حيث ترك لنا مؤلفين :

1 - دراسات في الأدب الشعبي .

- من المشاهير الأدب الشعبي الجزائري .

2 - دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة (1830م - 1945م).

وكتاب ثالث يقدم فيه دراسة وافية عن أشكال الأدب الشعبي (الشعر - القصة - المثل) بعنوان منطلقات التفكير في الأدب الشعبي ، أين تحدث⁽¹⁾ عن رحلته مع هذا الأدب، بحثنا من مكنوناته ، بنية فتح آفاق مستقبلية للأجيال اللاحقة، اخترت بعض ما جاء في هذا الكتاب وسأعرض وجهة نظر التلي بن الشيخ تجاه أشكال أدبية شعبية هامة.

الشعر القصة والمثل محاولا أن يحدد منابع كل فن، وتقديم أهم الفروق بينها من حيث المنطلقات والأهداف، مستنطقا مختلف النصوص الشعرية والنثرية .

والاشكالية المطروحة هنا : هل مازالت تلك المنطلقات والمفاهيم التي وظفها التلي بن الشيخ تستخدم بنفس الدلالة أم أنها تغيرت ؟. ثم ما الجديد الذي يمكن إضافته إلى منطلقات التلي بن الشيخ في الشعر، المثل، القصة ؟

انطلاقا من هذه التساؤلات ،سنحاول تقديم رؤية نقدية من منظور حديث، لتلك المنطلقات والمفاهيم، التي مست الشعر، القصة، المثل، بإحياء كتاباته في مجال الأدب الشعبي. وسنبداً أولاً بالشعر .

1 / منطلقات الشعر الشعبي الجزائري : يرى الدكتور التلي بن الشيخ أنّ الشعر الشعبي ينحو منحى

مغاير لطريقة القصص الشعبي ويعلل ذلك بما يلي :

أ / منابع الشعر تنبع من واقع الحياة التي يعيشها الشاعر ، استنادا إلى تلك القضايا التي يعالجها، والتي ترتبط ارتباطا وثيقا بانشغالات المجتمع، فتعبر عن آلامه وآماله.

ضف إلى هذا أنها تصور لنا الرؤية الخاصة للشاعر للحياة .

ب/ أن الشاعر الشعبي يعبر عن قضايا البيئة المحلية التي يرتبط بها الشاعر، وتتمثل هذه القضايا في مختلف المشاكل التي يعاني منها أهل بيئته و هذا طبعاً في حدود إدراكه لطبيعتها .
واعتماداً على ما سبق ذكره، تتضح لنا شخصية الشاعر واضحة منجلية، لوضوح موقفه من تلك القضايا التي يطرحها في شعره.

كما أن الشاعر لا يعتمد نفس العناصر التي يعتمدها القصاص الشعبي، ويقصد:
أ- استخدام الأساطير والخرافات والمبالغات التي لا يقرأها العقل والمنطق بل يعتمد واقع المجتمع ومعاناته.
ب- لا يكتفي بالعرض الساذج والسرد الباهت للقضايا، بل يتخذ موقفاً صريحاً، يستهدف الثورة والتمرد على الواقع، من أجل تحقيق مستقبل أحسن.

ويعود مرة أخرى ليقرّ بنسبية توظيف الشاعر الشعبي للأساطير والخرافات في شعره بينما يخضع القصاص الشعبي لموضوعه للخرافات والأساطير والكرامات، إلى درجة تتوحد فيها القصة مع الأسطورة، فلا نميز فيها بين الشكليات. حتى وإن وظف الشاعر هذه الخوارق والكرامات، ليصل إلى درجة إخضاع شعره إلى الغيبيات (طغيانها).

ويقر التلي بن الشيخ أن الفرق بين من يتخذ من الأساطير والخرافات وسيلة في غرض من الأغراض، وبين من يتخذها منطلق في الطرح.

ومما يؤخذ على الشاعر الشعبي أنه ذو نظرة إقليمية محدودة في طرح قضاياها لم يتجاوزها إلى نظرة أوسع (إنسانية أو قومية) لكنه يستدرك فيقول أن هذه النظرة الإقليمية، في حقيقة الأمر لا تقلل من أهمية الشعر وروايته للأحداث باعتبار أن الإقليمية جزء من الروح القومية وخير دليل على هذه الحقيقة أن الشعر العربي عموماً يتميز بهذه الروح لهذا قسم الشعر إلى عراقي، تونسي، مصري، الخ. وحتى الجامعات تدرس مختلف أنواع الشعر العربي على أنها تمثل وضعا اجتماعيا، سياسيا، ثقافيا يحمل سمات إقليمية لا بد من دراستها و الاعتراف بها .

يرجع التلي بن الشيخ إقليمية الشعر الشعبي الجزائري لثقافة الشاعر المحدودة وعزلته التي تحول بينه وبين الإطلاع على القضايا القومية في مختلف أنحاء الوطن العربي، كما يرى أن الشاعر الشعبي لا يتبع هذا المنحى عن وعي ومناهضة للروح القومية والإنسانية، لأنه لا يفرق بين الإقليمية والقومية -كما يراها -الدارسون والشعراء المدرسيون.

ويستثني من هذا الحكم العام ما يسميه بالشعر الديني يراه أكثر شمولية لأنه أقرب إلى الروح الإسلامية منه إلى النظرة الإقليمية أو القومية، ومن هنا يعتبر الشعر الديني شعرا إنسانيا، لأنه يدافع عن مختلف القيم الأخلاقية بغض النظر عن الأصل والجنس والموطن والنسق الاجتماعي.

وحتى نستكمل رؤية التلي بن الشيخ ننتقل للحديث:

2/ منطلقات القصة الشعبية:

خلافا للنظرة الإقليمية التي تميز الشعر الشعبي الجزائري يرى التلي بن الشيخ أن القصة الشعبية تنتهج خطأ عاما متمثلا في الرؤية الإنسانية والتي تتضمن مختلف الحالات النفسية والاجتماعية والثقافية، والتي تعد نقطة وصل بين الشعوب رغم اختلاف المجتمعات وتباعدها، وأهم واقع يعبر عنه القصص الشعبي هو الواقع النفسي لأنه يلغي جميع المفارقات ليوحدها إنسانيا ومرد هذا إلى ما يلي:

أ- القصص الشعبي لا يطرح قضية اجتماعية أو سياسية في حدود واقع اجتماعي معروف، يتحايل على مواجهة الواقع ويطرح شعورا إنسانيا موحدًا، فهو يصور أحلام الطبقة الشعبية المكبوتة.

ب- لا يدعو القصص الشعبي إلى التمرد والثورة... إنما يقدم واقعا يحتمل أن يقع بالفعل بأن يصور بطلا حرر شعبه من الظلم دون أن تكون للطبقات الشعبية موقفا إراديا لتغيير واقعها، ودون أن يعمد القصص ليجعل من الظلم موقفا يوحى بالتمرد والثورة على الواقع.

ويصف التلي بن الشيخ تصوير القصص للبطل الشعبي وقد اعتلى العرش برؤية سلبية، لكونه وصل إلى الحكم بوسائل مختلفة غير الوسائل الثورية ولا يهتم بعدها بقضايا الطبقات الشعبية، ومما يميز القصص الشعبي أنه يعمد إلى تصوير القضايا المعالجة بصورة أشمل، وقد أسهم في هذا عاملين:

أ- العامل الأول/ توظيف القصص الشعبي للأساطير والخرافات كمنطلقات أساسية في التعبير بغض النظر عن الواقعية والصدق في التعبير عن الواقع الاجتماعي.

ب- العامل الثاني/ عدم ارتباط القصص بوضع اجتماعي له ظروفه وأوضاعه المتميزة أي يطرح تصورات اجتماعية أو سياسية من خلال شعور نفسي عام ولا يطرح قضية بالمعنى الدقيق وهذا الطرح يجعل القصة الشعبية قصة افتراضية أكثر منها واقعية إن لم يكن موضوعها افتراضي فإن أحداثها وواقعها ضرب من الافتراض العجيب.

واستثنى أن تكون هذه الخاصية مطابقة لقصص السيرة مثل سيرة الإمام علي رضي الله عنه، معللا ذلك أن هذا النوع من القصص الشعبي ينطلق من تاريخ معروف، ويعبر عن واقع اجتماعي وسياسي معين، فالخيال والمبالغة فيه ضرب من التشويق.

ويحدد -التلي بن الشيخ- مفهومه للأساطير والخرافات أنها مجموع الوسائل التي يستخدمها القصص الشعبي في التعبير أعم من كونها أساطير وخرافات. إذ ثمة مؤثرات أثرت في الفكر الشعبي: الكرامات، الوحي، الخوارق التي يتقبلها الفكر الشعبي كمسلمات، لا جدال في صحتها، ووظيفها القصص الشعبي، كمنابع للقصة الشعبية، بحيث يصعب التقريب بين الأساطير و الخرافات.

أما الهدف من هذا الاتجاه في القصة الشعبية، فهو إيجاد نوع من التوازن النفسي بين واقع مؤلم، تعيشه الطبقات الشعبية وتعجز عن تغييره، وبين تصور مثالي، تشعر فيه الطبقات الشعبية بالأمن

والاطمئنان، لذلك من الصعب الجزم بواقعية القصة الشعبية أو عدم واقعيّتها، ومادام الشاعر الشعبي يطرح تصورا عاما، فنقول أن الواقعية في القصص الشعبي غير واردة، بل هي واقعية نفسية، ثم علل الكاتب دوافع القصص الشعبي في انتهاجه لهذا الأسلوب في الإبداع:

1- تحاشي الصدام مع الحكام، مما يفسر لجوءه إلى استعمال صيغ التذكير، وعدم تسمية الأشخاص، وعدم تحديد زمان ومكان القصة، لذلك يربط نشأة القصة الشعبية بنشأة سياسية مفادها أن القصاص الشعبي عارض حكما ما، فأبدع قصة ما، ضمنها موقفه من الحكم، دون أن يفصح عنه علانية، فظاهر القصة فيه دعوة إلى الفضيلة والخير، أما باطنها فهو تفويض حكم ما.

ويرى الكاتب أن القصة الشعبية تنطبق على أي وضع اجتماعي، ولو لا تضمينها مفردات:

السلطان، الوزير، الملك...

لقلنا أنها تنطبق على كل الأوضاع غير العربية الإسلامية، وهذه النظرة الشاملة من أهم ما

يميز أهداف القصة الشعبية عن الشعر.

3/ منطلقات المثل الشعبي:

يرى د/التلي بن الشيخ، "المثل الشعبي أقدر الأنواع الأدبية على تصوير العلاقات الاجتماعية المعقدة، وأقربها إلى الصدق في التعبير عن التناقضات الحياتية المتداخلة." وأورد تعريفا لأبي سنة إبراهيم (فلسفة المثل الشعبي).

« جملة أو جملتين تعتمد على السجع، وتستهدف الحكمة و الموعظة. »

ويذكر أن المثل تلخيص لقصة أو حكاية ولا يفهم معناه إلا بالعودة إلى الحكاية الأصلية.

ويرى د/التلي بن الشيخ أن هذا الحكم عام، ينطبق على بعض الأمثال دون الأخرى، فاشترطنا

لقصة شعبية، سابقة على ميلاد المثل الشعبي، ينفي عنه أن يكون وليد ملاحظة دقيقة، يستخلصها المثل من ظاهرة اجتماعية معينة أو موقف شخصي. ويعود مرة أخرى، ليؤكد أن بعض الأمثال الشعبية، ترتبط ارتباطا وثيقا بقصة سابقة، لذا لا يمكن إستيعاب المثل إلا بالعودة إلى القصة.

ورغم هذا الترابط بين المثل والقصة، إلا أن ثمة اختلاف جوهري وهو:

1- اهتمام المثل الشعبي بالسلوك الفردي أو الجماعي، فهو لا يطرح قضية سياسية أو اجتماعية، بل يطرح موقفا.

2- تنوع الأمثال واختلافها إلا أنها بعضها يبدو متناقضا (مضمونا) تبعا لاختلاف الظروف وتعقيداتها.

3- استخدام اسم الموصول بكثرة "اللي جابه الليل يديه النهار."

4- قدرة المثل الشعبي على صياغة السلوك الإنساني في جمل قصيرة، معبرة عن الظواهر الاجتماعية وهذا يدل على أن المثل الشعبي قد استوعب مختلف الأبعاد النفسية المعقدة، وتمكن من صياغتها في قالب مثل شعبي صالح لمختلف الأزمنة.

الرواية النقدية:

في حقيقة الأمر لا يمكن أن نربط التعبير عن قضايا الشعب المختلفة، بشكل أدبي واحد وهو الشعر دون غيره من الأشكال الأدبية، لأن القصة الشعبية تعالج أيضا هذه القضايا (الفقر، الجهل، الاضطهاد، الظلم...) وإنما الاختلاف بينهما يكمن في طريقه عرض هذه القضايا، وكيفية معالجتها، إذ يعتمد القصاص إلى توظيف مجموعة من الرموز، خاصة إذ تعلق الأمر بقضية سياسية، بينما تكون القصة واضحة الهدف إذ تعلق الأمر بقضية اجتماعية ونشير هنا إلى نقطة مهمة وهو أن د/التلي بن الشيخ، قد استعمل مصطلح القصة الشعبية، للدلالة عن نمطين حكائيين مختلفين وهي: الحكاية الخرافية/ الحكاية الشعبية والفرق بينهما بَيَّن، إذ لكل نوع خصائصه، ومجاله، فالحكاية الخرافية تصور في ظاهرها رحلة البطل في العالم المجهول، بحثا عن شيء مجهول، وتصيغها في عالم سحري رائع.

أما الحكاية الشعبية فهي «قصة ينسجها الخيال الشعبي حول حدث مهم، ويستمتع الشعب بروايتها والاستماع إليها إلى درجة أنه يستقبلها جيلا بعد جيل عن طريق الرواية الشفوية.» وهي نوعان: أ/ النموذج الأول: الذي يركز اهتمامه حول قصة بطل واحد ينتسب إلى قبيلة كبيرة، ولا تهتم القصة بتمجيد القبيلة بقدر ما تهتم ببطولة هذا البطل.

ب/ النموذج الثاني: وهو الأكثر شيوعا فهو لازال يحتفظ بتمجيد الأسرة أو القبيلة وأبطالها. (مثل: حكاية عمر النعمان وولديه شراكان وضوء المكان).⁽²⁾

وكان يقصد -التلي بن الشيخ- بالقصة الشعبية: الحكاية الخرافية فيعود مرة أخرى للشعر ويذكر أن الشاعر الشعبي لا يعبر إلا عن قضايا بيئته المحلية، ويرجع سبب ذلك إلى كونه أعتد شعر الثورة كنموذج للدراسة، حيث ميز هذه الفترة - المتحدث عنها - الشعر الثوري الذي عالج مختلف القضايا الثورية، فاهتم الشاعر الشعبي برصد الأحداث السياسية والثورية، وابتعد نوعا ما عن صنوف الشعر الأخرى، بينما في الوقت الراهن، وبعد تغيير الظروف تنوع الشعر الشعبي واستعاد حركته وفعاليته فجادت قريحة الشعراء بقصائد أو دواوين في مختلف الأغراض الشعرية.

ويؤكد الباحث على أن الفرق الجوهرى، بين القصاص الشعبي والشعر الشعبي، يكمن في أسلوب كل منهما، حيث يستعين الأول بالأساطير والخرافات والمبالغات التي لا يقرها العقل والمنطق، بينما الثاني ينطلق من واقع حياة المجتمع وما يعانیه من ظلم وقهر.

وظف الباحث المعنى اللغوي للأساطير أي الأباطيل أي أحاديث لا أساس لها من الصحة، فالحكاية الخرافية هي التي توظف هذه العوالم السحرية، والتي لا تحتاج إلى إقرار العقل والمنطق لأنه يتقبلها كإبداع فني، وليست كحقيقة فعلية، ونتج هذا الفرق في أسلوب القصة/الشعر، لاختلاف الهدف، واختلاف البناء الفني لكل منهما، فالقصص الشعبي لكل منهما لا يسعى لإثبات حقيقة ما أو واقعا بحذافره، إنما يعالج قضايا مختلفة بأسلوب فني بهدف التعبير، بينما الشعر الشعبي في الفترة المتحدث عنها -فترة

الاستعمار -نحي منحى واضح الأهداف، فرضتها الظروف المسيطرة آنذاك، فاستحوذ الشعر على مكانة فنية الأشكال الأدبية لشعبية الأخرى ، فنظم الشعراء قصائد مفعمة بالروح الوطنية، والمواضيع السياسية فشحنوا به الهمم لنصرة هذا الوطن الجريح، ومحاربة الاستعمار، بعد أن قضى الاستعمار على مختلف الهيئات الثقافية الأخرى.

كما أن الشاعر لا يعتمد العرض الساذج والسرد الباهت للقضايا بل يتخذ موقفا صريحا يستهدف الثورة والتمرد على الواقع، الدعوة إلى تحقيق وضع جديد، يستهدف مصلحة المجتمع، وسعادة الطبقات الشعبية، وهذا ما يؤكد، ما ذهبنا إليه سالفا، في كون الباحث اعتمد الشعر الثوري نموذجا للدراسة، فهذه الموصفات المذكورة تخص الشعر الثوري،(التمرد على الواقع، السعي لتغيير الأوضاع...) ولكن هذه الموصفات أو الأهداف لا تتعلق بجميع صنوف الشعر الشعبي فمنها:(الشعر الاجتماعي، الشعر النسوي، السياسي،...الوطني...).

نعود مرة أخرى للقصة التي من مزاياها العرض الساذج والسرد الباهت للقضايا ،حسبما استنتجناه من كلام الباحث، فنقول أن القصة تناولت مختلف القضايا التي أفلقت فكر الإنسان، ونغصت حياته أو أبهجتها، فعرضتها بطريقة مفعمة بالحوية، كالقضايا السياسية، موظفة مجموعة من الرموز، كأن تصور تمرد البطل على السلطان، إلى أن يصل إلى الحكم وهي بهذه الطريقة تسعى لتجعل من البطل قدوة يقتدي بها ، لتغيير الواقع، والانتصار للطبقة الشعبية

كما يرى النبي بن الشيخ، أن القصة تأخذ صورة الأسطورة ويصبح التمييز بين ما هو أسطوري أو قصصي أمرا صعبا. فمن الجلي أن الكاتب وظف مصطلح القصة توظيفا دلاليا مطلقا، وهو يعني شكلا أدبيا واحدا (الحكاية الخرافية) فوحد بينها وبين الأسطورة إلى درجة أننا لا نقوى على التمييز بين ما هو قصصي وما هو أسطوري، رغم أن الأسطورة تعني « محاولة لفهم الكون بظواهره المتعددة أو هي تفسير له، إنها نتاج وليد الخيال، ولكنها لا تخلو من منطق معين و من فلسفة أولية تطور عنها العلم والفلسفة فيما بعد.»⁽³⁾

أوهي «في جوهرها محاولة هدفها الإجابة عن أسئلة مصيرية تهم الإنسانية بأسرها، وهي في انطلاقتها من الخاص، تخترق نظامها الجغرافي وتتجاوز خصوصياتها لتسهم في بناء التراث الإنساني العام.»⁽⁴⁾ من هذين التعريفين نستنتج أن الأسطورة، تصور مراحل الفكر البدائي، وهي تختلف في كنهها عن الحكاية الخرافية، رغم أنهما يشتركان في توظيف الخيال ولكن كل منهما يوظفه بطريقة خاصة، فالأسطورة توظف عالم الآلهة وأنصاف الآلهة توظيفا رئيسيا، بينما توظف الإنسان بشكل ثانوي، «لأنها تربط ارتباطا وثيقا بالمناسك الدينية التي تحدها لقصة سردية تتصل بالشعير.»⁽⁵⁾

خلافا للحكاية الخرافية التي تجعل من الإنسان الشخصية الرئيسية المحورية التي تدور حولها الأحداث، مستعينة بعوالم سحرية (عالم الجان، الغيلان، المردة، الشياطين، الحيوانات الغريبة....) بعيدة كل البعد عن الطقوس الدينية، وهذا ما يمكننا من التمييز بين ما هو أسطوري وما هو قصصي، وحسب

رأي الكاتب، فإن القصة الشعبية، تتميز بروية إنسانية، لأنها تعبر عن واقع نفسي، تتعدم فيه النظرة الإقليمية والقومية، نظرا لطبيعة بعض مواضيعها التي تقوم على ثنائيات (الخير/ الشر)، ويضيف أن إتاحة البطل وسائل مختلفة للوصول إلى الحكم هي رؤية سلبية، لأنها لا تعتمد الوسائل الثورية ليس شرطا أن يعتمد القصص في كل أشكاله الأدبية الوسائل الثورية للوصول إلى غايته، فما هذه الوسائل المختلفة التي يستعين بها إلا أملا جديدا للطبقة الشعبية من أجل غد جديد، ثم يستنتج في السير الذي يعد أصلا من القصص الشعبي البطولي، بعيد كل البعد عن الحكاية الخرافية، ويبين التلي بن الشيخ دلالة الخرافات والأساطير، فيقول: أنها مجموع الوسائل التي يستخدمها القصص الشعبي في التعبير، وهو ما نسميه الآن بالقواعد الفنية التي يستعين بها القصص في حكايته.

وفي ثنايا حديثه عن القصة يرجع نشأتها إلى عامل سياسي نتحدث أولا عن نشأة الحكاية الخرافية التي يرجعها بنفي إلى إحدى الديانات الشرقية: البوذية/الإسلام أو المسيحية، وقد انتقد الباحثون هذا الرأي باعتبار أن الحكاية الخرافية عاشت قبل الديانة البوذية، فالحكاية الخرافية تستمد تصوراتها من مراحل حضارية مختلفة أشد الاختلاف ولهذا فإن السؤال عن أصلها من الصعوبة بمكان الإجابة عنه. (6)

أما نشأة القصة الشعبية فتقول: الدكتورة نبيلة إبراهيم أن نشأتها تعود إلى فكرة تأكيد موقف الأسرة أو القبيلة من المجتمع⁽⁷⁾. ومن هنا فالنشأة السياسية غير واردة في كلا النمطين. ضف إلى هذا أنه لا يعني أن القصص الذي يحوي كلمات: السلطان، الوزير هي فقط التي تحول دون أن تنطبق القصص على كل الأوضاع غير العربية والإسلامية بل ثمة أمر أهم وهو مجموعة القيم التي تحتويها القصة في حد ذاتها حتى إن كان الموضوع ذو بعد إنساني.

ننتقل الآن إلى آخر شكل أدبي وهو الأمثال الشعبية حيث أورد تعريف المثل (إبراهيم أبو سنة): «جملة أجملتين تعتمد على السجع وتستهدف الحكمة والموعظة». ثم أضاف تعريفا آخر «إن المثل الشعبي تقطير أو تلخيص لقصة أو حكاية ولا يفهم معنى المثل الشعبي إلا بعد معرفة القصة أو الحكاية التي يعبر المثل الشعبي عن مضمونها».

فند الدكتور التلي بن الشيخ هذا الرأي وذكر نوعين من الأمثال الشعبية، نوع يشترط وجود قصة أصلية ونوع ثاني لا يشترط ذلك، وهو في ذلك قد تناول طبيعة المثل التي تتكون من مورد ومضرب فالأول هو الموقف الذي صدر عنه المثل والثاني السياق الذي أعيد إنتاج المثل من خلاله، لهذا وجدنا لعدد من الأمثال قصصا تفسر أصل الوضع غير أن أغلبها فقدانه بسبب التداول الشفاهي.

ونضيف إلى التعاريف التي قدمها الدكتور التلي بن الشيخ تعاريف أخرى:

أ- تعريف عبد الله بن المقفع « إذا جعل الكلام مثلا كان أوضح وأنق للسمع وأوسع لشعوب الحديث»
(العقد الفريد).

«الأمثال وشي الكلام وجوهر اللفظ وحلي المعاني والتي تخيرتها العرب وقدمتها العجم ونطق بها في كل زمان على كل لسان، فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة لم يسر شيء مسيرها ولا عم عمومها»⁽⁸⁾.
كما أشار الدكتور التلي بن الشيخ في العنصر الرابع إلى «قدرة المثل الشعبي على صياغة السلوك الإنساني في جمل قصيرة معبرة.....».

وهذا ما يسميه أبو هلال العسكري بالبعد التداولي أو ظاهرة الاقتصاد اللغوي حيث يتوخى المتكلم من خلاله توسيع حقل الدلالة إلى أقصى ما يمكن من المعاني كما ينبه إلى انفتاحه على مختلف أشكال الخطابات وقابليته الاندماج فيها.

يقول « ولما عرفت العرب أن الأمثال تصرف في أكثر وجوه الكلام وتدخل في جل أساليب القول أخرج في أوقاتها من الألفاظ يخف استعمالها ويسهل تداولها فهي من أجل الكلام وأنبله وأشرفه وأفضله لقلّة ألفاظها وكثرة معانيها ويسير مؤونتها على المتكلم من كثير عنايتها وحسب عائداتها ومن عجائبها أنها مع إعجازها تعمل عمل الإطناب ولها روعة إذا برزت في أثناء الخطاب والحفظ الموكل بما راع من اللفظ ويدر من المعنى.»

ختاما، نقول أنّ طبيعة المادة التي انطلق منها - التلي بن الشيخ - هي التي حددت مسار دراسة في كتاب " منطلقات التفكير في الأدب الشعبي " ومنها تمكن من استنباط تلك المنطلقات في الشعر، القصة، المثل. التي قمنا بدراستها دراسة نقدية، وتقديمها من وجهة نظر أخرى، قصد الإثراء، وإحياء اسم هذا الأديب الجزائري الفذ، الذي حارب بقلمه، من أجل إرساء الأسس المنهجية للأدب الشعبي في الجزائر.

الإحالات

- 1 - أنظر: التلي بن الشيخ، منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1990م، ص103.
- 2 - أنظر نبيلة إبراهيم - أشكال التعبير في الأدب الشعبي - دار غريب القاهرة، ص 121.
- 3 - نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب، القاهرة، ط3، دت، ص17.
- 4 - ألكسندر كراب، علم الفولكلور - ترجمة رشدي صالح - القاهرة، دار الكتاب العربي، 1967، ص 129.
- 5 - وطفاء حمادي هاشم، التراث: آثاره وتوظيفه في مسرح توفيق الحكيم، المجلس الأعلى للثقافة، 1998م، ص19.
- 6 - أنظر فريد ريش فون ديرلاين، الحكاية الخرافية، نشأتها، مناهج دراستها، فنيتها، تر: نبيلة إبراهيم، مكتبة غريب، القاهرة، دت، ص74.
- 7 - أنظر نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار غريب، القاهرة، ط3، دت، ص121.
- 8 - ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1983 م، ص 63.